

آليات تشكّل خطاب المثل الشعبي الساخر

بوديسة فاطمة الزهراء باحثة دكتوراه إشراف أ د جمال مجناح

بريد المرسل fatima.boudissa01@gmail.com

قسم اللغة والأدب العربي كلية الآداب واللغات . جامعة المسيلة . الجزائر

التقييم الدولي: 1969 - ISSN 2335 - ترقيم الإلكتروني 2602-506 X ISSN E.

Summary:

Mechanisms of forming satirical proverbs

This article seeks to identify the Sarcastic public proverb by trying to reveal the most important mechanisms responsible for forming sarcasm and its work in popular proverb speech. This adds to an attempt to unveil the cynical discourse behind his laughter and his sarcasm hides a deep criticism of the goals of educational reform.

Keywords:

Speech , popular, sarcasm

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى التعريف بالمثل الشعبي الساخر، كما تحاول الكشف عن أهم الآليات المسؤولة عن تشكّل السخرية واشتغالها في خطاب الأمثال الشعبية. هذا بالإضافة إلى محاولة إماطة اللثام عن الخطاب المثلي الساخر الذي يخفي وراء نوبات ضحكه وتهكمه نقدا عميقا ذا أهداف إصلاحية تربوية.

الكلمات المفتاحية:

الخطاب، المثل الشعبي، السخرية.

توطئة

تعتبر الأمثال الشعبية شاهد عدل على حال الشعوب، ومستواها الحضاري والثقافي والاجتماعي، فهي تمثل كنزا إبداعيا حمل ضمير المجتمع وعبر

عن آماله وآلامه، إذ يؤكد الدارسون على ملمحها - الأمثال - الجمعي، مثبتين الأواصر الجامعة بين المثل والمجتمع، وكأته ولد من رحم المعاناة الاجتماعية.

ومن هنا انبرت الأمثال الشعبية بمهمة سنّ وتشريع بنود وقيم التعامل والتعايش في شتى مجالات الحياة، حيث عملت على رصد سلوكيات أفراد الجماعة الشعبية سواء كانت إيجابية أو سلبية، كما عملت على نقد الكثير من المظاهر عبر وسائل عدة منها السخرية.

تعدّ السخرية وسيلة فعّالة وناجعة لطرح مشاكل الحياة في أدق تفاصيلها، ونقدها نقدا واعيا ممزوجا بالإحساس الفطري المتجذّر في أعماق الانسان.

إنّ كلمات المثل الشعبي الساخر أكثر قوة من الكلمات الجادة، حيث تؤدي رسالتها على نحو أسرع وأيسر وهذا ما يمنحها سلطة التأثير في الأفراد وتوجيههم.

وعلى هذا الأساس يتجه البحث في خطاب المثل الشعبي الساخر إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية : ما أهم الآليات والميكانيزمات التي تساهم في تشكل الخطاب المثلي الساخر؟، وكيف عمل هذا الأخير على رصد ونقد السلوكيات والمظاهر المنتشرة في المجتمع؟.

1- ضبط المفاهيم:

1-1 الخطاب:

بداية أشير إلى أن مفهوم الخطاب يتعدد بتعدد الدراسات، منها ما جاء به ميشال فوكو في كتابه حفريات المعرفة، حيث يرى أن الخطاب يعني أحيانا "الميدان العام لمجموع المنطوقات وأحيانا أخرى مجموعة متميزة من المنطوقات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدلّ دلالة وصف على عدد معين من المنطوقات وتشير إليها"¹ وجاء في موضع آخر من كتابه قوله أن الخطاب هو "مجموعة من المنطوقات Enoncés، بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ، بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها"².

من خلال ما تقدّم يتبين أن الخطاب يتحدد من خلال التشكيلة الخطابية وكذا من خلال ميدانه الخطابية، إضافة إلى الممارسة الخطابية؛ وبمعنى أوضح يتحدّد الخطاب من خلال مجموع التعابير أو المنطوقات الخصوصية التي تنتمي إلى مجال خبرة معين وتتحدد بوظائفها الاجتماعية أو مشروعها الإيديولوجي، حيث يمتلك كل خطاب ضمني خلفه تحيل على الجماعة السوسيوثقافية المنتجة لخطابه"³.

1-2 المثل الشعبي:

تتسم معاني وشروح كلمة " مثل " في المعاجم العربية بالترار والتقارب إلى حد بعيد، لذا أكتفي بما ورد في معجم " لسان العرب "، حيث يقول صاحبه في مادة "مثل": "مثل كلمة تسوية...الفرق بين المثل والمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين؛ لأنّ التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، وأمّا المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين...فإذا قيل هو مثله على الإطلاق، فمعناه أنه يسد مسدّه، وإذا قيل هو مثله في كذا فهو مساو له في جهة دون جهة . والمثل الشبه يقال: مثل ومثل وشبه بمعنى واحد.

والمثل مأخوذ من المثل والحدو وفي التنزيل العزيز ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبُ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ [سورة الحج .73]. وقد يكون المثل بمعنى العبرة بدليل قوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [سورة الزخرف . 56]. فمعنى السلف أن جعلناهم متقدّمين ليتعظ بهم الغابرون. ويكون

المثل بمعنى الآية قال تعالى ﴿وجعلناه مثلا لبني إسرائيل﴾. [سورة الزخرف 59]؛ أي آية تدل على نبوة سيدنا عيسى عليه السلام⁴.

كلمة "مثل" عند ابن منظور تحتل معان عدّة نعيد تلخيصها في معنى " التّسوية " والشبهة والحديث نفسه والصفة الغير والند والعبرة والآية الحدو والانتصاب والمقدار والقالب...

لا يقتصر الاهتمام بمعاني المثل على المعاجم اللغوية، بل هناك من سعى إلى الخروج بمادة " مثل " من أفق اللغة إلى مدى الاصطلاح، وذلك في كتب التراث منهم كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه الذي يقول عن الأمثال: "هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلى المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ولم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل"⁵.

ينبه هذا التعريف إلى الخاصية الجمالية، وكذلك خاصية الشيوخ والتداول، كما يؤكد على ظاهرة سعة تداول المثل وتميزه عن باقي الأشكال الأدبية المعروفة في ذلك العصر⁶.

يتضح تعريف المثل أكثر في قول المرزوقي أورده السيوطي في كتابه المزهري حيث يقول: " المثل جملة من القول مقتضبة من أصلها، أو مرسلّة بذاتها فتتسم بالقبول، وتشتهر بالتداول فتنتقل عمّا وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها وعمّا يوجهه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها"⁷.

"يلفت المرزوقي انتباهنا إلى خاصية قصر عبارة المثل وثبات الدال(اللفظ) فيه، وتعددية الدلالة (المعنى) وقابلية هذا الأخير للتأويلات المختلفة، وفق المواقف التي يضرب فيها المثل والتي يمكن أن نسميها شروط إعادة إنتاجه"⁸، كما يشير إلى نقطة هامة في كون المثل جملة يتم قبولها أولا واستحسانها من طرف الجماعة، وبعد المصادقة عليها تشتهر وتنتشر فيكون القبول شرطا للاشتهار والانتشار، كما لا يشترط أن يعرف مورد المثل فهو يقال وإن جهل أصله.

ومن بين التعريفات المتداولة أيضا تعريف أحمد أمين في كتابه الموسوم بـ: "قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية" إذ يقول: "الأمثال الشعبية نوع من أنواع الأدب يمتاز بإيجاز اللفظ وحسن المعنى ولطف التشبيه وجودة الكناية، ولا تكاد تخلوا منه أمة من الأمم ومزية الأمثال أنّها تتبع من كل طبقات الشعب"⁹.

يسقط أحمد أمين التجربة في تعريفه هذا، لكنه يذكرها في كتابه المعنون بـ " فجر الإسلام " حيث يقول "المثل لا يستدعي إحاطة بالعلم وشؤونه، ولا يتطلب خيالا واسعا ولا بحثا عميقا، إنّما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة"¹⁰.

1-3 السخرية:

ورد في لسان العرب "سَخِرَ منه وبه سَخْرًا وسَخْرًا وسُخِرًا، بالضم، وسُخِرًا وسُخِرًا وسُخِرًا وسُخِرًا: هَزِيَ به... والسُخْرَةُ: الضُّحْكة"¹¹

وانطلاقاً من هذا التعريف يتبين أنّ المعنى العام للسخرية انحصر في دائرة الهزء والضحك ولكن السخرية بمفهومها الأدبي تتجاوز هذه الدائرة إلى أفق الفن التعبيري ذو الدلالات الإنسانية العميقة حيث تعدّ السخرية من أرقى أنواع الفكاهة وهي "الهزء بشيء ما، لا ينسجم مع القناعة العقلية، ولا يستقيم مع المفاهيم المنتظمة في عرف الفرد أو الجماعة، ففي كل إنقطاع عن المؤلف شيء ما يثير الضحك".¹²

فالسخرية بهذا المعنى الذي ورد في القول السابق هي عملية إثارة للضحك الناجم عن مواقف تخترق كل ما هو تقليدي متعارف ومتواضع عليه، وعملية إقحام هاته المواقف تجعل من الضحك الآلي بمنزلة رد فعل عفوي على انهيار المثل المرتبة في العقل أمام تلك المواقف المفاجئة التي تضع كل ما هو مثالي أمام نقيضه بأسلوب ساخر.¹³

وتهدف السخرية إلى معالجة شتى الظواهر الاجتماعية والكشف عن الانحرافات والعيوب بغية تقويمها. ومن هنا تتوسل الأمثال الشعبية الأسلوب الساخر كأداة تعبيرية تسعى من خلالها إلى رصد السلوكيات الخاطئة، حيث يملك هذا الأسلوب - الساخر - تأثيراً مزدوجاً، فهو يجعل المرء يستشعر قدر الحرج والتحقير الذي يتلقاه، لذا فهو لا يرضى لنفسه هذا الموقف، فيسعى إلى إصلاحها طواعية هذا من جهة، ومن جهة ثانية تحمل الجمهور المستمع على الابتعاد قدر الإمكان عن تلك السلوكيات التي اتخذتها السخرية مادة لها.

"تبقى وظيفة السخرية في الأمثال مزدوجة الوجه. فبالإضافة إلى غايتها الواضحة في الهدم والكشف الفاضح، نجدتها تخفي وجهاً هادئاً ذو طبع إصلاح (تربوي)، فبعد زوال الهستيريا الناجمة عن الضحك الساخر، يهدأ العقل، ويعمل التفكير المتزن، يقرب الصورة، يقطف منها العبرة التي تخبئها بقصد النقد والتقويم، والإصلاح الاجتماعي السليم، الناجم عن ثورة فكرية عاقلة لا أسلحة فيها ولا دماء".¹⁴

ويؤكد هذه الوظيفة المزدوجة عبد العزيز شرف في قوله "فالأدب الفكاهي (الساخر) يقوم بوظيفة تطهيرية، حيث يزيل من النفس أدران الهم والقلق واليأس والحقد والتشاؤم والإحباط، وهو من وسائل تجديد الذات عند الفرد والمجتمع على السواء... والغرض من الفكاهة ليس الإضحاك والضحك فحسب، وإنما هو التقويم والتهديب والإصلاح، بنقد أنواع من النقص أو القبح أو الخروج على المؤلف".¹⁵

1- آليات تشكل الخطاب الساخر في المثل الشعبي:

2-1 المحاكاة الساخرة:



المحاكاة الساخرة أو (الباروديا Parodia) مصطلح يتميز بالالتباس والاختلاف في أوساط الدارسين وهذا راجع حسب **جيرار جينيت** إلى تقصير **أرسطو** في التنظير لهذا الجنس. وتتمثل في محاكاة أو تقليد ساخر " لشخص أو موضوع أو عمل فني، أو التصوير المضحك، وفي الهجاء والتحقير الساخر، و كل ما تجلى فيها من الحالات الساخرة والمضحكة للسلوكيات والعادات والأعراف".¹⁶

تتنوع المحاكاة الساخرة بحسب تنوع المواقف فيمكن أن نحكي أسلوب الغير وطريقة كلامه كما يمكن أن نحكي طريقة نموذجية على المستوى الاجتماعي، أو شخصية على المستوى الفردي وقد تكون المحاكاة بدرجة عميقة وقد تكون سطحية . وتقوم على مبدأين هما التشويه والتحويل. والأمثال الشعبية التي تعتمد المحاكاة الساخرة من أجل نقد الوضع ومحاولة تقويمه كثيرة أذكر منها ما يلي:

• " **حطب قدام لا خطب وقال نصب الكوائين وين**" تتبع السخرية في هذا المثل من حالة التّسرّع واستباق الشيء قبل أوانه إذ نجد أنّ الرجل يملك رغبة قوية تدفعه للزواج، بصورة يختل معها سلوك الفرد بناء على دوافع نفسية لا يستطيع كبتها.

يتكرر هذا المثل بصيغة أخرى مفادها: " **جاب الما والحطب قدام لا خطب**"، حيث يتم تجهيز بعض حاجيات العرس التي تعتبر لوازم لاحقة ثانوية، في حين أنّه لم يتم تدبّر أمر العروس ولا تقتصر هذه الدوافع النفسية على الرجل فقط، بل تمسّ المرأة أيضا وهذا من خلال المثل الشعبي القائل: " **قبل الفاتحة زغردت رابحة**"¹⁷. وتبعث هذه الشخصية المتسرّعة على التفكّه والضحك؛ لأنّها لا تعي موضع الخلل في تفكيرها لذا تتصرف بحمق وتهور.

• " **ظنيتك هبيل* والهبيل عينيه كبار، رحلوا بيه مية وميتين رحلة ويخسب* رحو في قلب الدار**" يعود هذا المثل إلى السيرة الهلالية في المخيال الشعبي، حيث إنققت جازية مع ذياب على الهرب بعد خداع زوجها رابح الزناتي إذ قاما باستغلال عادة نومه في حديقة قصره ووضعاه في هودج فوق حمار وعلى جانبي الحمار وضعا برميلى ماء فيهما الضفادع، وأحاطا الهودج بسياج من القصب وأبعدها عن القصر، وكلما تعثر الحمار أطل رابح الزناتي من الهودج فيجد نفس محيط حديقته من قصب وأصوات ضفادع فيعود للنوم من جديد. وفي هذا الوضع قالت جازية كلمتها التي ذهبت مثلا سائرا، والذي يعنى أنّها تعتقد أنّ زوجها مجنون أحمق، فبرغم من كبر عينيه إلا أنّه لم يستطع التمييز بين محيط حديقته والمحيط المزيف. وبالرغم من المسافة التي قطعها به الحمار، إلا أنّه لم يشعر ببعده عن دياره، إذ انطلت عليه الحيلة ويضرب هذا المثل في حالات التسليم والوثوق والاعتقاد الخاطى.

وتنشأ السخرية هنا عندما تكون الشخصية في المثل ضحية الجهل بالذات، أو بالوضع؛ أي حينما تكون ضحية تصديقها لتوهمها عن نفسها وعن وضعها. وغالبا ما تحتاج الشخصية لمؤثر خارجي يهز هذه الذات هزًا على نحو يكون له أثره البالغ في اكتشاف الذات.

• " قالتها بنت الديردي لا يحشمها" يعود هذا المثل لرجل اسمه مختار كان متعلقًا بزوجه تعلقًا شديدًا، وكان على خلاف أقرانه لا يتحدث أو يسمع حديثًا مهما كانت طبيعته ومجاله سواء كان تجاريًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا، أو حتى عاطفيًا إلا نسبه - الحديث - إلى زوجته بنت الديردي. وكان قديمًا - وحتى حاليًا - من العيب ومن المحذور أن يذكر الرجل اسم زوجته أو يتحدث عنها في وسط تجمع رجالي؛ لأن ذلك يعتبر قلة رجولة وهوان، وبهذا أطلق قول الرجل مثلًا يضرب لحظة السخرية من الرجل الذي يتبع زوجته أو يكثر من ذكرها. يتولد الضحك في المثل السابق من غرابة قول الضحية، حيث تقع فريسة لغفلتها وجهلها أمام جمهور مدرك تمامًا لوضعها، ومما يزيد من حدة السخرية، توقع الضحية أنقولها سيقلى القبول والإعجاب دون إثارة للسخرية والتعجب.

• "اللي ما يعرفش يشطح يقول لأرض عوجة" مصدر التفكه والسخرية هنا هو العذر السخيف الذي تبرر به الضحية عجزها وتقصيرها في الأداء، إضافة إلى سذاجتها واعتقادها بغفلة الجمهور المتلقي.

ويضرب في السياق ذاته: "اللي ما يحب يتزوج، يقول من زهري المعوج"، "اللي يخونها أيديها تقول بي السحور".

والأمثال الشعبية التي تعتمد المحاكاة الساخرة كثيرة لا يسعني المقام لذكرها جميعًا لذا سأنتقل للحديث عن الآلية الموالية وهي:

2-2 التصوير الكاريكاتوري:

مأخوذ من رسم الكاريكاتير وهو " تسمية تطلق على التشكيل الذي يحمل مضمونا ساخرًا أو ناقدًا أو يحتوي على مفارقات كوميدية مُنفذ بخطوط مبالغ فيها، وهي مأخوذة من الكلمة الإيطالية **caricatura** التي تعني المبالغة أو التحميل".¹⁸

إذا كان الرسم الكاريكاتوري يقوم على " تركيز الانتباه على صفة جسمية أو أخلاقية في الكائن المصور، فذلك السخرية تقوم مقام هذا الأخير"،¹⁹ والأمثال الشعبية غنية بهذا النوع من الصور المضحكة التي تعتمد المبالغة في التصوير والتشويه لتحصيل السخرية والضحك. ولفهم الصورة وتقريبها أقترح الأمثال الشعبية الآتية:

- "المسلان بارك واللسان حارك" يصور هذا المثل الشخص الخامل كثير الجلوس الذي يطلق العنان للسانه للنقد والتتظير، وإصدار الأوامر في مقابل بروكه وعزوفه عن السعي والتحرك لنيل غاياته وتلبية حاجاته. ويضرب هذا المثل بقصد السخرية من الكسول الثرثار المتواكل .
- **العين تقمز والدودة في الركنة تفقز:** يرسم هذا المثل صورة طريفة تعبر عن حالة شريحة من النساء، حيث تظهر الواحدة منهن في الواجهة لتسحر الرجال بجمالها الكذوب وكلامها اللعوب، فيعتقد الرجل أنه أمام امرأة مثالية كاملة لكن لو إطلع على بيتها لوجد مفارقة وتناقضا عجيبا بين حالة البيت العفنة وبين حالة المرأة صاحبة البيت، حيث لا تتوافق أناقة شكلها مع فذارة بيتها.
- "ضربوه ل..* طاحوا سنيه " ويضرب هذا المثل للإنسان المبالغ، أو المتسبب الذي يتسرع في ردود أفعاله ويبالغ فيها، وكأته يبحث عن أدنى سبب لتثور ثائرتة، فما أبعد مقدمة الرأس عن مؤخرة الجسم، وهذه الصورة معبرة؛ لأنّه مهما بلغت قوة الضرب على المؤخرة فأكيد لن يتضرر الرأس لدرجة تساقط الأسنان. كذلك ما أبعد السبب عن ردة الفعل التي يبديها الإنسان المبالغ إزاء موقف ما، فالمثل هنا يتوسل المبالغة لخلق أثر ساخر لدى المتلقي
- **سمينة وعريضة ومن ايديها مريضة:** يصور هذا المثل المرأة جيدة الصحة سيئة التدبير والتي تتكاسل عن القيام بواجباتها المنزلية تجاه عائلتها. ويستعمل عادة لحت النساء على النهوض بواجباتهن المنزلية، وإلا سيكنّ موضع سخرية وضحك.
- **عريان يزحك في بومحزمة:** يعكس هذا المثل صورة كاريكاتورية غاية في الطرافة تتمظهر في مشهد مطاردة شخص عار مجرّد من الثياب، لنظيره الذي يزيد عنه بحزام على الخصر لا يستر له عورة، ولا يدفع عنه حر صيف ولا قرّ شتاء.
- تعمل هذه الصورة الكاريكاتورية على تشخيص حالة الفقر والحاجة التي تعمل على تغييب العقل وتحفيز الطمع، وهي حقيقة قارة في المجتمعات الفقيرة رغم مرارتها، إلا أنّها تفجر الضحك لدى الجمهور المتلقي نتيجة دقة التصوير.
- **وحدة اعتيّ * نيف، وحدة اعتيّ شوآرب، وحنا الزين منا هارب**" يصور هذا المثل مجموعة من الأخوات تتسمن بالقبح، فلكل واحدة منهن عيب خلقي إما الأنف، أو الشفاه، والمتفق عليه على العموم أنّ الجمال لا ينسجم معهن ويفرّ منهن فرارا. ويضرب هذا المثل للتفجير من خطبة فتاة ما أو الارتباط بنسب أو عرش معين.
- يستند هذا المثل أيضا على قدر من التصوير، حيث يتوسل المجاز لإثارة الاستغراب فالزین أو الجمال وهو القيمة المعنوية يهرب في مشهد ساخر، يهدف لتحفيز المتلقي على الضحك نتيجة تخيله للموقف.

2-3 المفارقة:

مفهوم المفارقة مفهوم غامض، غير مستقر، متعدد الأشكال نظرا للكَمّ الهائل من التعريفات التي ينظر كل منها إلى المفارقة من زاويته الخاصة. ومن بين هذه المفاهيم، مفهوم ميوك الذي يرى: "أنها صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنى المضاد".²⁰

كما تقول نبيلة إبراهيم: "المفارقة كلام يستخلص منه المعنى الثاني الخفي من المعنى الأول السطحي".²¹

وتتحقق المفارقة في المثل من خلال التضاد والتناقض بين سلوك الشخصية والموقف الذي هي فيه ويتضح ذلك من خلال الأمثال الآتية:

• "مُولَاتُ الغنم تطلب النيرة ومُولَاتُ الصَّابَا تطلب الخميرة: المفارقة في هذا المثل واضحة فالمعنى الحرفي يحيل إلى امرأة تقترض النيرة وهي خيوط مصنوعة من الصوف تمثل المادة الخام للنسج والغزل، وامرأة أخرى تقترض الخميرة، وقديما تصنع الخميرة عن طريق عجن القمح وتركه أياما ليختمر.

لكن المعنى العميق والمفارق أنّ كلا المرأتين تملكان ما تقترضان، فلفظة مولات تعني صاحبة أومالكة، فالأولى تملك الغنم (مصدر الصوف)، والثانية تملك الصابا وهي القمح (مصدر الخميرة). ويضرب المثل بقصد السخرية والتهكم ممن يبخل على نفسه بسبب الكسل أو التكديس فالأولى أنّ المالكتين تتصدقان لاكتفائهما. لكن المفارقة تكمن في الاقتراض والأخذ بدل العطاء. وفي السياق ذاته تضرب الأمثال: "طباخ وشاتياتو مرقّة"، "ملاخ* ويمشي بالحفا"، "خياط ومشتاق مسلة"، "جزار وعشاه لفت"

• "خلات زوجها ممدود وراحت تعزي في محمود" يضرب هذا المثل للسخرية وإثارة الضحك من الشخص الذي لديه خلل في ترتيب أولوياته، والقيام بواجباته تجاه رعيته المطالب بالاهتمام بهم، فالمفارقة تكمن هنا في أنّ الزوجة بدل الاهتمام بزوجها المريض وهي المسؤولة عن رعايته وراحته اهتمت بشخص غريب لا يقع ضمن دائرة مسؤولياتها، وتركت زوجها طريح الفراش - ممدود- ويخدم هذا المعنى المثل القائل: راجلها في لحباس وهي في لعراس" فبدل الحزن تجد الزوجة تحتفل في الأفراس.

• "الداب جيفة ومصورو حلال" يصور المثل حالة الكثير من الناس خاصة الشريحة النسائية تصوير طريف مفحم. كأن تبغض المرأة أهل زوجها وتتسج فيهم الأقاويل والشائعات، لكن الرد الساخر يأتي حاسما بنص المثل، ومعناه أهل الزوج كالجيفة حرام عشرتهم، إلا أنّ ابنهم وهو جزء منهم حلال الزواج به!!

لا يقتصر هذا المثل على المرأة فقط، بل كل من يستفيد من شخص أو شيء ثم يسبّ صاحبه والمفارقة هنا تتجلى في إشهار البغض والعداء رغم الاستفادة الكبيرة، والارتباط الجوهري وهذا ما ينطبق على الأمثال: "ياكل في القلّة و يسب في الملة"، لآلة عدوة وحاجتها حلوة. إنّ المنتبّع للأمثال الساخرة يجد أنّ آلية المفارقة قد حظيت بحصّة الأسد، ولا يسعني المقام للتعرض لها جميعا بالشرح، إذ يتطلب الأمر تخصيص بحث خاص بالمفارقة الساخرة في خطاب المثل الشعبي. لذا سأكتفي بإضافة الأمثال الآتية:

- ✓ اشكالو بالعقر قالوا قءاه أولاءك.
- ✓ "أعطي للقرعة تمشطلك وأعطي للبايرة تسحرك".
- ✓ راح لبحر النسا وجاب عجوز.
- ✓ راح البحر وجا عطشان.
- ✓ اللي أعطاه ربي وعانوا قصفلو في ذراعو وطولو في لسانو.
- ✓ بعد ما مات ودود ناضت مرتو تنذب.
- ✓ أهل الميت صبرو والعزاية كفرو.
- ✓ ما نعرفش نكذب بصح في العلم نزيد. ما نعرفش نسرق وعندي خفافت ليد.

2-4 التشاكل الإيقاعي:

يعرّف الدارسون التشاكل على أنّه "نواة تركيبية" [Itérativité] لوحدات لسانيتية، ظاهرة أو غير ظاهرة، منتمية إمّا إلى التعبير، وإمّا إلى المضمون أو هو بوجه عام تكرار لوحدات لسانياتية"²² يتبين من خلال هذا التعريف أنّ التشاكل يشمل الجانب التعبيري والجانب المضموني معا. بمعنى أنّه "متنوع تنوع مكونات الخطاب؛ كالتشاكل الصوتي، والنبري، والإيقاعي...، ليشمل كل تكرار لوحدّة لغوية مهما كانت سواء معجمية أو صوتية، أو تركيبية، أو معنوية."²³ وبالعودة إلى خطاب الأمثال الشعبية نجد أنّها تتميز برشاقة لفظية تنجم عادة عن الجرس الموسيقي والتناغم بين الألفاظ "الذي من شأنه أنّ يصنع الشكل اللغوي المقفل فما إنّ تنتهي العبارتان المتحدتان على وجه التقريب في الوزن والإيقاع حتى ينتهي المثل."²⁴ وتبني موسيقى الأمثال أساسا إمّا على السّجع والفاصل، أو من إختيارها للأحرف المتجانسة ضمن الكلمات والكلمات المتوافقة، وقد تنجم نتيجة التكرار. ولهذه الموسيقى بالغ الأثر في تكوين النظام الصوتي، والبنية الإيقاعية للخطاب المثلي كما تمنحه حركية وسهولة انتشار وتداول بين الناس.

من خلال ما تقدم يمكن القول أنّ التشاكل الإيقاعي يعدّ استراتيجية خطابية تزيد من إبلاغية المثل، إذ تحفز المتلقّي وتطرب المتلقي وتشدّ انتباهه خاصة إذا ما تعلق التشاكل بالمثل الشعبي

الساخر الذي يثير انفعال المتلقي من خلال تفجير الضحك والدهشة وسأحاول إبراز ذلك من خلال الأمثال الشعبية الآتية:

- ✓ " مرت أبي لقات لي حيلة وأنا لقيت لها حيلتين، هي ترقق في الخبزة وأنا ناكلها مرتين "
- ✓ " كل خميس وبوجمعة عريس "
- ✓ " صلاة القياد بالجمعة ولعياد "
- ✓ " يجيبها بالدين ويقول عرقوبها شين "
- ✓ " لعمش في بلاد العميان يسمى كحل لعيان "

تنتم هذه النصوص ببنية إيقاعية تتردد في صدى النفس فتنتج لذة التلفظ ومتعة التلقي على حد سواء. فالجرس الموسيقي المسؤول عن الإيقاع في النصوص سألقة الذكر تعود إلى الألفاظ:

- النص الأول: حيلة/ حيلتين ← خبزة/ مرتين.
- النص الثاني: خميس ← عريس
- النص الثالث: القياد ← لعياد
- النص الرابع: الدين ← شين
- النص الخامس: لعيان ← لعيان

عبر هذا التماثل والتساكن هناك "جماليات وقيم فنية وظيفتها التأثير في السامع وإشباع حاجاته الذوقية، فغاية نصوص الأمثال هي تحقيق مثل هذه التماثلات التي تشكل لحمته وكونه الإيقاعي"²⁵ إضافة إلى طاقة الضحك الناتجة عن مزيج السخرية من تناقض المواقف والجرس الموسيقي.

وتظهر الطاقة الإيقاعية مقرونة بالطاقة الإبداعية في الأمثال الشعبية الساخرة، التي تشحن المتلقي وتزيد من انفعاليته وتأثره حيث تحفره على إمساك وترقب الوحدات الإيقاعية المكونة للخطاب المثلي.

تقول الأمثال الشعبية:

- المفطرة القطوط عليها مسلطة
- زير متكي ما يضحك ما يبكي
- " كِيلِحْنَشْ مَا يَحْفَرُ مَا يَبَاتُ بَرْ "

2-5 الأنسنة:

لا أقصآ بالأنسنة هنا الآركة الآقافية الآي ظهرت في عصر النهضة، والآي آهآف إلى الإآآفاء بالإنسان وآآريره من قيود الدين والسياسية و... وإآما أقصآ بها الصفات أو الأفآار الإنسانية الآي آنسب إلى الآيوان أو الآماآ من باب الآرميز والآشفير.

يشير الآارسون إلى أنّ الإضآاك يرتبآ بالإنسان، و"إذا ضآكنا من آيوان فلأننا لآينا عنآه وضع أو آعبير إنساني، وهذا ما نآه في الآراث، آآآ إستمآل الآاآظ وابن المقفع وآغيرهم آكايات الآيوان ذات المآآوى الرمزي الآعليمي الآي آآيل إلى عالم الإنسان وليس إلى العالم الآيواني"²⁶

وهناك الكآير من الأمآال الشعبية الآزآيرية الآي آمارس الأنسنة إذ آآكلم على لسان الآيوان لإسآاء نصيحة ذات مغزى رمزي سياسي أو آآتماعي، أو لآصوير كآائي ساآر، قصد نقآ العيوب الإنسانية ومن أمآلة ذلك الأمآال الشعبية الآائلة:

- الذيب قال: الآراب المآرك ما نآور بيه"
- "لبلآرآقلبو آآآ مصورو"
- لمذبوحة آضآك على لمسلوآة ولمقآعة آضآك عليهم قاع:
- السيار يضآك على الغربال قالو ماآبرك بعين والشبكة ضآكت عليهم قاع
- الآآاجة آبيض و الفروج يوجعوبعصوصو
- "وش يعرف لآمار لماآلت القرفة؟"
- وش يعرف لآمار لشم النوار؟

من الملاحظ أنّ آهآ الأمآال موجهة للإنسان وإن كانت شخصياتها آيوانية أو آماآا، والذآب والغربال والآآاج والآمار ماهي إلا وسائل أو وسائآ يتآآها الآطآب المآلي كمنطية لنقآ السلوكيات والمواقف اليومية عن طريق السآرية والآهكم.

2-6 أسلوب الآوار:

آعآمآ شريحة كبيرة من الأمآال الشعبية على الآوار وآملة الآول أو المقولة، وهي " نمآ يتركب من آملآين كلاهما يتصآر بفعل الآول" قال " وآكون الآانية إآابة أو آعليقا أو إضآفة على الآول الأول"²⁷ لكن آآيانا ما نآآ أنّ المقولة آآكون من آملة وآآة أو آائل وآآ و آآيانا آآرى آآآاوز الآملآين، لآشكك آوارا لمشآه آامل طال آهآ المشآه أو قصر.

ومن أمثلة المقولة الواحدة : القط قال " إذا كنت أنت عظم يابس، حتى أنا قط فارغ شغل" يمارس هذا المثل الأنسنة إذ يتولى القط الحوار عن نفسه وعن الطرف الثاني وهو العظم، وتثار السخرية من جواب القط الذي يهزه بسلوك التعنت والعناد ويقابله بالمثل.

يعمل الحوار في المثل الشعبي الموالي على تجلية بلاغة السخرية؛ لأنه أتاح فرصة للكلام والردّ لكل أطراف التواصل.

✓ قالوا: صحّات وجلاّت وما بقى للضيف وين يبات

قالوا: يصحّيها ويجلّيها وما يقدي حتان يملّيها

قالوا: يملّيها بالشوك وأعوادو

قالوا: لمولى البيت وأولادو.

كما هو واضح هذا حوار بين ضيف ومضيف، حيث تبرم هذا الأخير بالضيف الثقيل الذي أبى المغادرة رغم زوال أسباب المكوث، وهي سوء حالة الجو التي تمنعه من مواصلة السفر لأنه كان مصرا على تناول الطعام.

يعالج هذا المثل صفتي البخل والطمع في قالب حوار ساخر، يمنح المتلقي المتعة والعبارة في الآن ذاته.

2-7 التهكم:

هو استخدام الكلام في غير معناه الحرفي بقصد السخرية، وهو كلام يذكر في غير سياق التواصل المتعارف عليه بهدف النيل سلبيا من اعوجاج ما، والتهكم يُحيل مسار الحديث إلى مسار الهزل الذي يكاد يكون مطابقا لمفهوم التهكم وهو من أقدم أنواع السخرية الهازلة. ويعتبر أشد أنواعها مباشرة وحدّة؛ لأنه يعتمد على النقد اللاذع والهجاء البذيء²⁸ وأسلوب التهكم مزدوج الوظيفة؛ وظيفة فكاهية ووظيفة تربوية، ويتجلى مظهر التهكم والهزل في كل من الأمثال الشعبية الآتية:

• سيدي مليح وزادو الهوا والريّح : لا يمكن اعتبار هذا المثل ساخرا إلا بعد إدراك الطابع اللغوي المراءوغ، إذ يختفي وراء مستواه السطحي مستوى آخر: سيدي قبيح وزادو الهوا والريّح" فبعد قلبنا للمعنى تجلّت السخرية وإنفجر الضحك، عبر تضاد خفي نتج عن التعارض بين الملفوظ وما يضمّره²⁹.

وقد يكون التضاد مكشوفاً كما في المثل القائل زَهْرُ الزَّيْنَةِ فِي لِحْمِي وَزَهْرُ الشَّيْنَةِ فِي السَّمَاءِ فالتضاد هنا تحقق على المستوى اللفظي والدلالي.

• كي شاب علقولو كتاب يعالج هذا المثل حالة متكررة في وسط الجماعة الشعبية تتمثل في الإدراك المتأخر. وفي السياق ذاته يأتي المثل "بعد ما شبع سمّي". وكذا المثل "بَعْدَ مَا مَاتَ"

وؤؤء ناضت مرؤو تئؤب" تتطلق السخرية في هذه الأمثال من رءوء الأفعال غير المناسبة التي تعارض المنطق والواقع في موقف مفارق.

- ما خصّ عؤجة لئناك ق لمسواك: يعتمد التهكم هنا على التضاء؛ لآئه عادة ما يستعمل المسواك وهو من أءوات الزينة الشعبية لإبراز جمال الفم ومحاسنه، لكن هنا استعماله سيزيد الطين بلءة، لأنّ صاحبه تملك تشوها خلقيا على مستوى الفم واستعماله سيعمل على إظهار هذا التشوه .

وكأنّ هذه المرأة قد استوفت كل حاجاتها ولا ينفصها إلا استعمال المسواك. وهنا نلمس تضادا لواقع المرأة مع لغة المثل وهذا بغرض التهكم والسخرية من قبج المرأة وتشوها. والمعنى ذاته ينطبق على المثل الشعبي القائل: " ما خصّ لعميا ق لئحل"، " لمن تحلي يا مرء الأعمى".

وفي ختام هذه الورقة البحثية أصل إلى مجموعة من النتائج أوجزها فيما يلي:

- ✓ دراسة المثل الشعبي هي إثراء للبحث الاجتماعي لما تتضمنه من ممارسات إجتماعية بكل أصنافها.
- ✓ تعدّ السخرية من أرقى أنواع أدب الفكاهة، فهي تتمتع بوظيفة مزدوجة وظيفية ترفيهية تفجر الضحك ومن خلفها وظيفة تربوية إصلاحية.
- ✓ تهدف السخرية إلى معالجة شتى الظواهر الاجتماعية والكشف عن الانحرافات والعيوب بغية تقويمها.
- ✓ تبرز فاعلية المثل الشعبي الساخر في نقد الظلم والخلل، وكشف أوجه التناقض المفارقة للواقع.
- ✓ تتشكل السخرية في خطاب المثل وتشتغل عبر عدّة آليات هي:
- ✓ المحاكاة الساخرة والتي تتقاطع مع التصوير الكاريكاتوري وتعتمد على المبالغة لإثارة الضحك والسخرية.
- ✓ المفارقة والتي شكلت لبنة أساسية لقيام المثل الشعبي الساخر وهي تقوم على مبدأ التعارض.
- ✓ التناكُل الإيقاعي والذي يعدّ استراتيجية خطابية تمكّن الأمثال الشعبية من المرور والانتشار كما تمنحها بعدها الجمالي.
- ✓ الأنسنة انبجست السخرية في كثير من الأمثال الشعبية على السنة الحيوانات فأعطت للمثل الشعبي بعده الرمزي، الذي يحيل إلى عالم الإنسان وينقد مظاهره.



- ✓ الحوار كان له حضورا واضحا في خطاب الأمثال الشعبية حيث عمل على إبراز السخرية بإتاحة فرصة للكلام والردّ لكل أطراف الحوار.
- ✓ التهكم ويعدّ أشدّ آليات السخرية قوة لأنه يعتمد على الحدّة في الهزء، كما يعتمد على إضمار المعنى الحقيقي وإخفاءه وهذا ما ينتج الدهشة والاستغراب، وبالتالي السخرية والضحك.

Mechanisms of forming satirical proverbs

The words of satirical proverbs are more powerful than the serious ones. They convey their message in a fast and easy way. This is what gives them the power to influence and direct people.

On this basis, the research on the speech of satirical proverbs is aimed at answering the following queries:

What are the mechanisms that contribute to forming a satirical proverb? How does a satirical proverb manage to monitor and criticise prevalent conducts and traits in society?

1- Adjusting the concepts

1-1 The speech: the speech is determined by a set of expressions or private terms that belong to a specific field and are determined by their social functions or their ideological mission, where every implicit speech has a background that refers to the socio-cultural group that has created it.

1-2 Proverbs: Proverbs are a literature genre characterised by abridged wording, striking denotation, delightful analogy and quality metaphor. Every nation has its proverbs and the valuable advantage about them is that they originate from all strata of society.

1-3 Sarcasm: sarcasm is considered one of the highest kinds of humour, is:” to mock something, that is not in accordance with the mindset and it doesn’t get along with regular concepts in the individual or collective tradition. There is something funny in everything out of the ordinary.

2- Mechanisms that form satirical proverbs

2-1 Parody: it is a satirical imitation “of person, subject, artwork or humorous caricature. It is also a satire and derision, and all its demonstrations of satirical and funny situations of behaviours and traditions:

جاب الما والحطب قدام لا خطب

2-2 caricature

It is taken from caricature drawing; and any drawing with a sarcastic subject or a humorous paradox using exaggeration of some features is called caricature, and it is derived from the Italian term "caricatura" which means exaggeration.

If the caricature is based on paying attention to physical or moral feature in its subject, so does sarcasm, such as: العين تقمز والدودة في الركنة تقفز:

2-3 Paradox: it is a rhetorical form that reflects the intention using words that bear the opposite meaning, such as: خلّات زوجها ممدود وراحت تعزي في محمود

2-4 Rhythmic lostopie : leaners define lostopie as «synthetic core for linguistic units, sought or unsought, belonging whether to expression or to content, or it is in general repetition of linguistic units; such as: كل خميس وبوجمة عريس

2-4 Hominization : humain characteristic and ideas that are attributed to animals or things out of coding and encryption. Learners point out that laughing is linked to man, "if we laugh at an animal it means we have found a humain situation or expression in it". Such as : الذيب قال: التراب المحرك ما ندور بيه

2-5 Dialogue style :

Is a pattern composed of two sentences both of them begins with the verb "said". The second sentence is an answer or comment or addition to the first saying. Example:

قال المضيف: صحّات وجلّات وما بقى للضيف وبين بيات

قال الضيف : يصحّيها ويجليها وما يقدي حتان يملّيها

قال المضيف: يملّيها بالشوك وأعوادو

قال الضيف: لمولى البيت وأولادو.

2-6 Irony: is the use of words to convey a meaning that is the opposite of the literal meaning with a view to causing ridicule. It is considered as the most direct and acute type of sarcasm, because it depend on the harsh criticism and nasty satire such as : ما خصّ عوجةً لحناك غير لُسنواك :

Conclusion

Sarcasm is formed in the proverbial speech and it works within many mechanisms. It aims at tackling various social phenomena and revealing deviations and flaws in order to redress them.

الإحالات والهوامش:

¹الزواوي بغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2000، ص94.

²المرآع نفسه، ص 95.

³ينظر: أندرو إآآار وبيآر سيآآويك، موسوعة النظرية الثقافية - المفاهيم والمصآلآات الأساسية - ، آر: هآاء الجوهري ، ط2، المرآز القومي للآرآمة، القاهرة، 2014، ص 289

⁴آبن منظور (آمال الدين) ، لسان العرب، ط1، آار الكآب العلمية، لبنان، 2003، آ11، مادة (م آ ل) ، ص610

آبن عبد ربه ، العآد الفريد، طط، آرا الفكر، بيروت، آآ، آ3، ص63.⁵

⁶ينظر: عبد الحميد بورايو ، الأآب الشعبي الجزائري (آراسة لأشكال الأآاء في الفآون التعبيرية الشعبية في الجزائر)، آار القصبة الجزائر، طط، 2007، ص57.

⁷السيوطي، المزهر في علوم الأآب وأنواعها، ط2، آار إآياء الكآب العربية ، القاهرة، آآ، آ1، ص486.

⁸عبد الحميد بورايو ، الأآب الشعبي الجزائري، ص57

⁹أحمآ أمين ، قاموس العآادات والآقاليد والآعابير المصرية ، ط1، مطبعة لآنة الآأليف، القاهرة، 1953، ص 61

أحمآ أمين ، فجر الإسلام، ط1، آار الكآب العربي، بيروت، 1979، ص64¹⁰

¹¹آبن منظور، لسان العرب، مادة(سآر)، مآآ4، ص352.

¹²آوال بن صالح، آطآب المفارقة في الأمآال العربية (مآمع الأمآال للميآاني نموآآا)، مآآرة آآآوراآ علوم ، مآطوط ، آامعة بسكرة، الجزائر : 2011 / 2012 ، ص179.

¹³ينظر: سوزان عكاربي، السآرية في مسرح أنطوان آندور، طط، المؤسسة آآآية للآآاب، طرابلس، لبنان، 1994، ص24.

المرآع نفسه، ص38¹⁴

¹⁵عبد العزيز شرف، الأآب الفكاهي، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوناآان، مصر، 1992، ص ه.و.

¹⁶مآآر سيآي عبد الله، سيآ عشاوي، الآراث والآآير الاجتماعي - الفكاهة وآليات النآآ الاجتماعي - ، ط1، مرآز البآوث العربية الآفريقية، مصر، 2004، ص35-36.

¹⁷ينظر: الآلي بن الشيخ ، منآلآات الآآير في الأآب الشعبي ، طط، المؤسسة الوطنية للآآاب، الجزائر، 1990، ص161

هبيال : هو المآآون أو المآآول والأحمق...*

آآسيب: يظن أو يعآآق*

¹⁸علي منعم القضاة، فن الكاريكاتير في الصحافة البحرينية اليومية، مآة الأكآامية للآراسات الاجتماعيّة والآسانية، ع8، 2012، ص153

شاآر عبد الحميد، لآراث والآآير الاجتماعي - الفكاهة وآليات النآآ الاجتماعي-، ص58.¹⁹

كلمة سوقية تعني مؤآرة الانسان* .

*آعى: أكبر.

²⁰آي.سي.ميوك، المفارقة وصفاتها، موسوعة المصآلآ النآآي، آر: عبد الواحد لؤلؤة، ط1، المؤسسة العربية للآراسات والنشر، بيروت، 1993، مآآ4، ص258

²¹آبيلة براهيم، فن القص بين النظرية و الآآبيق، طط، مآآة آريب، مصر، آآ، ص197.

الملاآ: هو الاسكافي الذي يصلآ الأآذية.*

²²عءالمكمر آاض، نظرية القراءة - آأسيس للنظرية العامة للقراءة الأءبية، ط1، ءارالغرب، الجزائر، 2003، ص 133.

²³صالح لآوآي، التشاكل والتباين نفي شعر مصطفى الغماري، مجلة الاآر، ع 17 آانفي 2013. ص 126.

²⁴نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأءب الشعبي، ءط، مكتبة الغريب، القاهرة، ءت، ص 108.

²⁵عءالقار فيءوآ، ءلائلية النص الأءبي، ط1، ءيوانا المطبوعات الآامعية، الجزائر، 1993، ص 58.

²⁶أمانيسليمان ءاووء: الأمآال العربية القءيمة- ءراسة أسلوية سردية آضارية - ط1،

المؤسسة العربية للءراسات والنشر، بيروت، 2009، ص 11.

²⁷مرسي السيد مرسي الصباآ، الأمآال الشعبية المصرية - قراءة في السمات البنائية والتكوينية-، مجلة

الثقافة الشعبية، ع 39، آريف 2017، ص 32.

²⁸سوزان عكاري، السآرية في مسرح أنطوان غنءور، ص 30.

²⁹ينظر: سميرة الكنوسي، بلاغة السآرية في المآل الشعبي المغربي، شبكة الأنآرنآ

http://www.aljabriabed.net/n35_09samlr، ا.htm، بآاريخ: 2018/03/27، سا: 23:16